استذكار الأحزان واجترار المآسي هدفٌ شيطاني

مقالة للشيخ الفاضل

محمد عثمان العنجري

- حفظه الله -

الأربعاء 12 شوال 1444 الموافق 3 مايو 2023

استذكار الأحزان واجترار المآسي هدفٌ شيطاني

▲ ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

قال البغوي: أي: إنما يزين لهم ذلك ليحزن المؤمنين.

وقال السعدي: هذا غاية هذا المكر ومقصوده.

▲ المسلم لا يستذكر الأحزان ولا يستسلم للمآسي، بل يدفعها ويدحرها ويخرجها من قلبه وفكره ونفسه بالإيمان والثقة بالله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾، فالواثق بالله -تعالى- لا يضعف، وإن ضعف يُذكَّر: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، قال ابن كثير: إنما [الذكرى] تنتفع بها القلوب المؤمنة.

▲ قال الله -تعالى- للمؤمنين: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، قال مجاهد والربيع: ولا تضعفوا.

▲ هَدفٌ شيطاني: إدخال الحزن والهم في قلب المسلم، قال -تعالى-: ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، فالحزن والهم من مكايد ومصائد الشيطان.

▲ الصحابة -رضي الله عنهم أجمعين- هديهم: عدم الاستسلام للأحزان والهموم اقتداءً برسول الله ﷺ، فقد كانت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-: إذا ماتَ المَيِّتُ مِن أهْلِها، فاجْتَمع لِذلكَ النِّساءُ، ثُمَّ تَفَرَّقْنَ إلَّا أهْلَها وخاصَّتَها، أمَرَتْ ببُرْمَةٍ مِن تَلْبِينَةٍ فَطُبِخَتْ، ثُمَّ صُنِعَ ثَرِيدٌ، فَصُبَّتِ التَّلْبِينَةُ عليها، ثُمَّ قالَتْ: كُلْنَ مِنْها؛ فإنِّي سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «التَّلْبِينَةُ مَجَمَّةٌ لِفُؤادِ المَرِيضِ، تَذْهَبُ ببَعْضِ الحُزْنِ». تريد -رضي الله عنها- أن تُريحَ القلوب لتُذهِب الأحزان.

▲ قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: وأما الحزن فلم يأمر الله به ولا رسوله، بل قد نَهَى عنه في مواضع، وإن تعلق أمر الدين به، كقوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

▲ قال ابن القيم -رحمه الله -: النبي ﷺ جعل الحزن مما يستعاذ منه، وذلك لأن الحزن يضعف القلب ويوهن العزم ويضر الإرادة، ولا شيء أحب إلى الشيطان من حزن المؤمن. قال ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ».

▲ المسلم لا يطلب الحزن، ولا يمكِّنه من أن يستوطن قلبه، قال -تعالى-: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾.

▲ قال -تعالى-: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

قَالَ عِكْرِمَةُ: لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَفْرَحُ وَيَحْزَنُ، وَلَكِنِ اجْعَلُوا الْفَرَحَ شُكْرًا وَالْحُزْنَ صَبْرًا.

▲ استذكار الأحزان، واجترار المآسي، وطلب الهموم، وتعذيب النفس، وإيلام الجسد بالضرب والجلد: دعوة شيطانية، وهي نهج الأديان المنحرفة؛ كاليهودية، والبوذية، وفرق أهل البدع.

▲ ومنشأ استذكار الأحزان واجترارها، وجلب الأذى لروح وجسد الإنسان يعود إلى أزٍّ ووسوسة الشيطان، ونهج أتباعه من النِّحَل المنحرفة، حيث ينحتون صورًا للحزن والغضب في ذاكرة عقول أتباعهم؛ لتوثيق الانقياد والإذعان لمفاهيم المذهب، كما جاء في المسيحية التي تعتبر الألم والحزن جزءًا من رسالة إنجيل لوقا: «إنه ينبغي أن ابن الإنسان يتألم كثيرًا».

قال ابن عباس -رضي الله عنه-: بينما النَّبيُّ ﷺ يخطُبُ إذا هو برجُلٍ قائمٍ في الشَّمْسِ، فسأَل عنه، قالوا: هذا أبو إسرائيلَ، نذَر أن يقومَ ولا يقعُدَ، ولا يستظِلَّ، ولا يتكلَّمَ، ويصومَ. قال: «مُرُوهُ فليتكلَّمْ، وليستظِلَّ، وليقعُدْ، وليُتِمَّ صومَهُ». قلت: ليس هذا من دين الله، لذا أمره النبي ﷺ بالكلام، والاستظلال، والقعود.

عن عَبْدُ اللهِ بن مسعود -رضي الله عنه- أنه قال: والَّذِي لا إلَهَ غَيْرُهُ، ما رَأيْتُ أحَدًا كانَ أشَدَّ عَلى المُتَنَطِّعِينَ مِن رَسُولِ اللهِ ﷺ، ولا رَأيْتُ أحَدًا أشَدَّ عَلَيْهِمْ بَعْدَهُ مِن أبِي بَكْرٍ، وإنِّي لَأظُنُّ عُمَرَ كانَ أشَدَّ أهْلِ الأرْضِ خَوْفًا عَلَيْهِمْ -أوْ لَهُمْ-.

قال ابن القيم: سُبْحانَهُ يجمع بَين الهدى وانشراح الصَّدْر والحياة الطيّبة، وبَين الضلال وضيق الصَّدْر والمعيشة الضنك، قالَ -تَعالى-: ﴿فَمَن يُرِدِ اللهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإسْلامِ ومَن يُرِدْ أنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾.

قال ابن القيم: المكروه الوارد على القلب: إن كان من أمر ماضٍ أحدث الحزن، وإن كان من مستقبل أحدث الهم، وإن كان من أمر حاضر أحدث الغم.

الحزن لا مبرر له للمسلم المتيقن بوعد الله، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَجَبًا لأمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ».

قال ابن القيم: [ربنا -تعالى-] كافي من يثق به في نوائبه ومهماته، يكفيه كل ما أهمه... وكلّما كان العبد حَسَن الظنِّ بالله، حسنَ الرجاء له، صادقَ التّوكُّل عليه، فإن الله لا يخيِّب أمله فيه البتَّة، فإنه -سبحانه- لا يخيِّب أمل آملٍ، ولا يضيِّع عمل عاملٍ. وعبَّر عن الثقة وحسن الظنِّ بـ(السعة)، فإنّه لا أشرح للصّدر، ولا أوسع له بعد الإيمان من ثقته بالله ورجائه له وحسن ظنِّه به.

🔺 فهدي المسلِمِ عند الشدائد: أنه يَفزَعَ باللجوء إلى الله، ويدعو بدعاء النبي ﷺ عند الكرب: «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ. أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلاَءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي».

كتبه: **الشيخ محمد عثمان العنجري**

الأربعاء 12 شوال 1444هـ

الموافق 2023/5/3